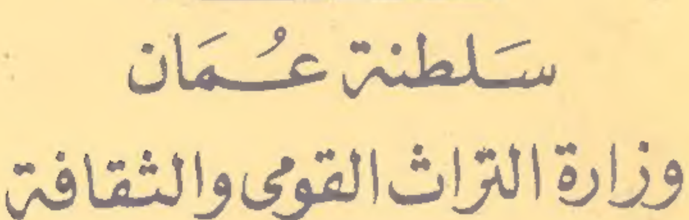




سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة

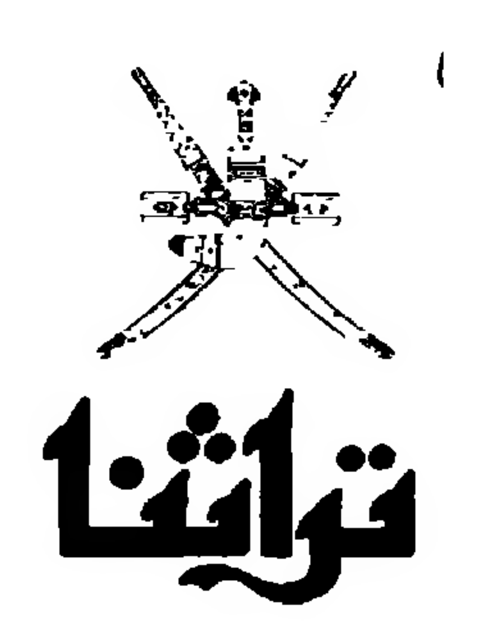
تراثنا

حضارة عمان القديمة

تأليف
الشيخ عامر بن علي بن عُمير
الأمين العام لمشروع جامعة السلطان قابوس

العدد ٦٣

سلطنة عُمان
وزارة التراث القومي والثقافة



تراثنا

حضارة عمان القديمة

تأليف
الشيخ عامر بن علي بن عُمير
الأمين العام لمشروع جامعة السلطان قابوس

إعداد
محمد الكامل

العدد ٦٣


بسم الله الرحمن الرحيم

المحاضرة التى ألقاهــا

سعادة الشيخ عامر بن على بن عمــير الموهوبى

الأمين العــام لمشروع جامعة السلطان قابوس

بمناســبة الأســبوع الثقــافى العمــانى

بالمملكـــة الأردنيـــة الهماشميـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

إننى إذ أقدم هذه المحاضرة القصيرة الى القراء الكرام ، أود أن أؤكد لهم بأننى لست بمؤرخ ، إلا أنه كان لى الشرف العظيم عندما كلفنى سمو السيد فيصل بن على وزير التراث القومى والثقافة بتحضير وإلقاء هذه المحاضرة فى أثناء الأسبوع الثقافى العمانى فى المملكة الأردنية الهاشمية فى عاصمتها عمان ، وشعرت بذلك أنه أتيحت لى الفرصة لإثارة انتباه وشوق الحاضرين لمعرفة ما استطاع أن ينجزه العمانيون القدامى من حضارة انسانية نبعت من قيمهم الأخلاقية النبيلة ، وقوة إرادتهم التى لا مثيل لها ، برغم الظروف الصعبة التى كانوا يعيشون فيها ، وقسوة المناخ الطبيعى الذى لم تكن لديهم التسهيلات العلمية والتكنولوجية تساعدهم فى التغلب عليها ، تلك التسهيلات التى نعتبرها اليوم بغير تمعن كجزء من حياتنا اليومية .

والآن أقدم هذه المحاضرة التى تجمع معلومات من مصادر مختلفة عربية وأجنبية الى الشباب العمانى ، آملا أن تكون حافزاً لهم للمزيد من الاطلاع على حضارتنا ، وراجياً أن تكون

كذلك مثيرة لاهتمامهم ، ومشجعة لجهودهم المتزايدة والمستمرة ؛ للارتقاء بمستواهم الثقافى . والمشاركة الفعالة فى جميع النشاطات التى تعود بالفائدة للمجتمع العمانى والعربى والاسلامى ، وذلك تعبيراً لشكرهم وتقديرهم لمولانا جلالة السلطان المعظم حفظه الله ورعاه لما قام بتوفيره لهم من فرص التقدم والازدهار لبلادنا عمان .

وختاما لا يسعنى إلا أن أقدم شكرى وامتنانى الى سمو معالى السيد فيصل لإتاحته لى هذه الفرصة التى كان من الأفضل أن تعطى لمن هو أهل لأن يقوم بهذه المهمة ؛ وأرجو المعذرة من الجميع عن أى نقصان أو تقصير فيما قدمته فى هذه المحاضرة نابعين من عدم الكفاءة أو من عدم التقبيل . والله ولى التوفيق .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تقـــديم

عندما نتحدث عن حضارة الانسان فاننا نعنى تلك الفترة التى بدأ الانسان يتكيف فيهـا مع بيئته ، ويستغلها ويسخر مـا حوله لتطوير أسلوب حياته ، لكى يستفيد من النعم التى أسبغها الله سبحانه وتعالى على خلقه فى هذا الكون •

وطبقا لمـا ذكره المؤرخون أن حضارة الانسان قد بدأت فى قرى صـغير منعزلة ، كان الشاغل الرئيسى فيها هو كسب المعيشـة اليومية ، وحماية النفس من قسوة العوامل الطبيعية ، وضراوة المخلوقات الأخرى •

وقـد أدت هذه الاحتياجات الأساسية الى بروز بعض المهن كالصـيد والزراعة ، ثم تربية الحيوان والنسـيج ، وصناعة الأوانى والأوعية والأسلحة والبنـاء • ونظرا لتميز الإنسان عن سائر المخلوقات الأخرى بالعقل ، فانه لم يكتف بالاحتياجات الأساسية لمعيشـته فقط ، بل بدأ ينمى وبطور هذه المهن من مرحلة الى مرحلة فى مسيرة الحضارة الانسانية ، حتى وصـل الى عصر التكنولوجيا الذى نحن فيه الآن • والذى لا يزال فى تطور مستمر •

هـذا كله نعمة من رب العزة جل جلاله كمـا يقول فى

كتابه العزيز : (إن فى خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التى تجرى فى البحر بمـا ينفع الناس ومـا أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخرة بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) (١) صدق الله العظيم •

إننـا نعرف القليل عن هـذا الكون وعن الحضـارات الانسانية القديمة فيه • وقد أستقينا مـا لدينا من معلومات عن هذه الحضارات من مصادر دينية وتاريخية ، واذا مـا عدنا الى المصـادر التاريخية نجـد أن حضـارة الانسان بدأت فى الجزء الشرقى من عالمنا فى الفترة مـا بين ٣٥٠٠ و ١٠٠٠ سنة قبل الميلاد ، وهى حضـارات نمت وازدهرت على شواطىء الفرات ودجلة والنيل فى العالم العربى ، ونهر انداس فى الهند •

وسبب ذكرنا هذه الحضـارات بالذات هو قربها الجغرافى من منطقتنا ، علماً بأن هناك حضارات أخرى قامت فى منـاطق أخرى من هـذا الكون وازدهرت خلال قرون عديدة قبـل الميـلاد •

---

(١) سورة البقرة الآية ١٦٤ .

يقـدر بعض المؤرخين أن حضارة بلاد ما بين الرافدين بدأت حوالى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وحضارة مصر القديمة حوالى سنة ٣٠٠٠ قبل الميلاد . وحضـارة أنداس فى الهند حوالى سنة ٣٥٠٠ قبل الميلاد ، وما يمكن أن نستنتجه من هـذا هو أن عمـان كانت محاطة بهذه الحضارات الثلاث قبل ٥٠٠٠ سنة تقريبا • ومن سمات هـذه الحضارات أنهـا انتقلت من مرحلة الحياة الفطرية والعزلة والانشغال بأساسيات المعيشـة للبقـاء ، الى مرحـلة التقـدم والارتقاء الاجتماعى والفنى والثقافى . فبدأ الانسان يفكر فى بناء مأوى أحسن من مأواه القديم ، وفى تشكيل نظام للحـكم وسن قوانينه ، واختراع طريقة الكتابة والقراءة ، كما بدأ أيضـا فى التفكير والتأمل فى الحيـاة بعد الموت ، وفى عظمة هـذا الكون الذى يوحى بوجود خالق له ، فبنى المعابد والمقابر •

ومن سـمات هـذه الحضـارات أيضـا أن الانسان لم يكتف بعـزل نفسـه فى بيئتـه المحـدودة والمقصورة ، بل أراد أن يوسـع آفاقـه الى خـارج بيئتـه المباشرة ليتعرف ويسـتفيد من منجزات المجتمعات الأخرى والبيئـات المختلفة عن بيئته ، فبدأ باختراع وسائل النقل لتسـاعده فى انتقاله وترحاله من مكان الى آخر • وقـد أدت هذه المحاولات الى شن غزوات من ناحية ، والى الاتجار من ناحية أخرى •

أما حول تأثر هـذه الحضارات بعضها ببعض ، فإن بعض المؤرخين يشككون فى حدوث ذلك ، ويؤكدون على استقلالية كل منها فى النمو والازدهار ، وإن كانت هناك بعض الصـفات المتشابهة والمشتركة • ويعتقد البعض الآخر أن بعض الحضارات الحديثة قـد تأثرت بتلك التى سبقتها عن طريق نشر الحضارة ، وهذا ما يسميه مؤرخون فى الغرب بـ Diffusion of Civilization

وبرغم ذلك ومهما قيل فى هـذا الموضوع فإن مما لا شك فيه هو أن بعض المجموعات البشرية الصغيرة التى كانت تقيم حول هـذه الحضارات لا بد وأن تكون قـد تأثرت بهـا •• وربما استفادت منها ومن تجاربها • وفى غضون سنوات أو قرون ذاع شأن هـذه الحضارات الى مستوطنات أخرى تبعد مسافات منهـا :

حضـارة ما قبل الاسـلام :

الحضـارة العمانية القديمة

بعـد المقـدمة الموجزة عن بداية التطور الحضـارى للانسان فى المنطقة المجاورة لعمان ، نأتى الى لب الموضوع وهو الحضارة العمانية القديمة ، وما نستطيع أن نستنتجه من الأدلة التاريخية التى تتوافر لدينا ، علما بأن هـذه الأدلة لا تزال

محـــدودة وغير متكاملة أو كافية ، مثلها مثل كثير من أدلة تاريخ الحضـــارات القديمة فى جميع أنحاء العالم • وجهود المؤرخين وعلماء الحفريات والتنقيب ، مستمرة فى البحث عن المزيد من الأدلة للتمكن من ربط الأطراف المتنافرة ، والوصـــول الى معلومات دقيقة وموثوق فيهـــا بقدر الامكان •

إن عمليات التنقيب لم تكشف الى الآن عن وجود قرى أو مستوطنات فى عمان تعود للعصر الحجرى • ولكن علمـــاء الحفريات عثروا بالفعل على بعض المقابر القديمة التى ألقت الضـــوء على أشياء كثيرة مهمة ، وعلى ســـبيل المثـــال : عثر هؤلاء العلماء على جرار من الفخار فى مقابر بجبل حفيت بالقرب من البريمى ، وفى مقابر أخرى غرب عبرى • واتضح أن هـــذه الجرار تشبه فى شكلها وفى أسلوب صـــناعتها جرار حضـــارة « جمدت نصر » التى نمت على شواطىء الفرات ودجـــلة بين سنة ٣٠٠٠ و ٢٨٠٠ قبل الميـــلاد •

ويقول علماء الحفريات : إنه وجدت فى جزيرة أم النـــار التى ترجع حضارتها الى الألف الثالث قبل الميلاد آثار تشابه الآثار التى عثر عليها العلماء فى قرية « بات » فى منطقة عبرى فى عمان • ويعتقد بعض المؤرخين أن آثارا مماثلة وجـــدت فى إيران أيضـــا • وبالاضافة الى هـــذه الجرار الفخارية عثر

الخبراء على اثار يرجع تاريخها الى العصر الحجرى ، وبعض الأسلحة فى وادى بهـلا وأزكى فى عمان الداخل ، وعبرى فى منطقة الظاهرة • وإن دل هـذا على شىء فإنما يدل على سابق صـلات تجارية بين هـذه الحضارات المتقاربة جغرافيا •• وما يمكن أن نستنتجه من هذا هو وجود حضـارات أخرى . ربما كانت أقل شأنا من حضارة الأكاديين والسومريين ، وأنه كانت هناك اتصالات تجارية بين هـذه الحضـارات ، وأكبر دليل على ذلك هو العثور على لوحة من لوحات الملك سرغون ملك الأكاديين من سنة ٢٣٧١ الى ٢٣١٦ التى كتب عليها ما يدل على أن سفن مجان ودلمون ومالوخا كانت ترسو فى ميناء أكاد •

كما ورد كذلك فى لوحة من لوحات ملك السومريين أرنامو (٢١١٣ — ٢٠٩٦) UR. Nammu بعد مضى قرنين من عمر ملك الأكاديين ، أنه فتح للمرة الثانية طريق التجارة بين سومر ومجان ودلمون ، وذلك بتسهيل المرور فى قنوات النهر للسفن القادمة من مجان ودلمون • ويظهر أن حضـارة الأكاديين والسومريين فى ذلك الوقت كانت أكثر تقدما من الحضارات الأخرى التى كانت حولها ، الأمر الذى أدى الى تأثر تلك الحضارات الى حـد ما بما أنجزه الأكاديون والسومريون ، وخاصة مجـان التى يعتقد كثير من المؤرخين بأنها عمان القديمة ، ودلمون حسب النظرية السائدة بين علماء التاريخ هى البحرين القـديمة •

أما بالنسبة للحضارة الثالثة وهى ما تسمى بمالوخا . فهناك شكوك فى موقعها الفعلى ، غير أن الرأى السائد هو أن مالوخا كانت جزءا من الحضـــارة الهندية القديمة فى وادى نهر انداس فى الهند • وان كان هـــذا صحيحا فمن الجائز اذن أن نقول إن الصـــلات التجارية كانت تدور بين هذه الحضارات الثلاث ، وتمثلت فى تبادل المنتجات المختلفة ، وفى معاملات البيع والشراء ، كما يبدو أيضـــا أن دلمون ومجان كانتا لا تتاجران فى منتجاتهما فقط ، بل كانتا تعملان فى نفس الوقت كمراكز تجارية للبضائع التى كانت تأتى من حضارات أخرى •

وهنا نتساءل عن امكانية قيام أتصالات بين حضـــارتى مجان ودلمون . وحضـــارات أخرى خارج المنطقة • ومـــع أنه لا يوجـــد دليل أكيد يشير الى ذلك فإننا لا ندرى كيف نبرر إبحار مراكب مجان أو دلمون الى ميناء أرو أو أكاد ، وهى محملة ببضـــائع مثل الخشب ، علما بأنه لم تكن توجـــد غابات فى كليهما • ولو أن بعض المؤرخين يذهبون الى إمكانية وجـــود غابات كثيفة فى تلك العصور التى نتكلم عنها •

أما البضائع الأخرى التى كانت تجرى التجارة فيها بين مجـــان ودلمون من جانب ، وأكاد وسومر من جانب آخر ، فهى النحاس ومواد البناء كالحجارة التى كانت مدن حضارة سومر

بحاجة اليها لبناء القصــور والمعابد ، كما جــاء فى وثيقة عن أمير مدينة لاجاش Lagash حيث يقول : إنه كان يتلقى الهدايا من مجان ودلمون ومالوخا وأنه كان يستورد مواد البناء كالخشب والحجارة diorite من تلك الحضارات الثلاث لأجل الإله • وكما جاء كذلك فى وثيقة أخرى أن الكاهن - Nin - Gir - Su,Lu, Enlilla الذى كان يشرف على معبد نانا Nanna فى زمن الملك أبى سين Ibbi-Sin الذى كان ملك أور UR من سنة ٢٠٢٩ — ٢٠٠٦ أنه كانت له صــلة تجارية بينه وبين مجان حيث كان هو يصــدر بعض البضائع لكى يتمكن من شراء نحاس من مجان •

مجان وتعــدين النحاس :

لموضوع النحاس ومجان أهمية كبرى لربط عمان بمجان ، وذلك لأن النحاس كان ولا يزال من منتجات عمــان الرئيسية أكثر من أى بلد فى الخليج • ولهذا السـبب قامت السـلطنة بتكليف خبراء من جامعة هارفارد فى سنة (١٩٧٣) بالتنقيب لاكتشاف مناجم النحاس القديمة فى عمان • الأمر الذى ألقى بعض الضــوء على هــذا الجزء من الحضارة العمانية القديمة • فقــد جاء فى تقرير هؤلاء الخبراء أنهم اكتشفوا سبعة عشر مستوطنة فى عمان ؛ وبعد دراسة الآثار التى وجدت فى هــذه المستوطنات من الأوانى الفخارية وطريقة البناء بالحجارة ،

وفضـــلات النحاس ، تأكد بأن تاريخ هـــذه الآثار يرجع الى الألف الثالث قبل الميلاد • ويستطرد هــذا الوفد فى تقريره بالقول : إنه كانت هناك ميـــاه متوافرة فى ذلك الوقت فى مواقع الحفر ، الأمر الذى أدى الى الاستيطان البشرى فيهـــا •• كما اكتشفوا أيضـــا نوعا من الســـدود التى كانت تشـــيد فى الوديان لكى تتحكم فى سيل المياه وتسربها الى جوف الأرض ، وهناك صـــور وتفاصيل لبعض هـــذه الآثار ولمواقعها فى الجزء الأول من مجـــلة الدراسات العمانية •

ويرجى مراجعتها لمزيد من التفاصـــيل ••

أما عن النحاس فيقول التقرير : إنه وجـــدت فعـــلا آثار تدل على عمليات صهره فى وادى سمد فى المنطقة الشرقية ، وفى منطقتى الباطنة والظاهرة ، ومما يثير الانتباه هنـــا هو أن مواقع صـــهر النحاس كانت قرب الأراضى الزراعية التى يتوافر حولهـــا المـــاء ، الأمر الذى يدل على صـــهر النحاس فى ذلك الوقت كان نشاطا فرعيا لمواطنى هـــذه المســـتوطنات البســـيطة ، التى ربما كانت تعتمد على الزراعة أساسا ، ثم انتقل صهر النحاس بعد ذلك الى مواقع غير زراعية وتطـــور الى نشاط تجارى ، وأصـــبح النحاس من المنتجات الرئيسية للتصـــدير الى الخارج •

والجـدير بالذكر أن الشركة التى تعمل فى انتاج النحاس فى عمـان حاليا اكتشفت مواقع عـدة وجدت فى بعضها كميات وافرة ، وفى بعضها كميات غير مجـدية اقتصاديا ، غير أنه من الجائز أنها كانت اقتصـادية فى تلك الأزمان ، وكما هو معروف لديكم أصبح النحاس من المصـادر الرئيسية لعمـان الآن ، ويوجد فى مدينة صـحار فى منطقة الباطنة مناجم لاستخراج النحاس يقدر إنتاجها بـ ٢٠ ألف طن فى السنة ٠

وتبين الآثار الأخرى التى تم اكتشافها فى المنطقة ، أنماط حياة هؤلاء العمانيين القدامى ، فقـد كانت تقع مستوطناتهم فى الأراضى الخصبة الزراعية حيث الميـاه متوافرة ، وقد وجدت آثار سدود بسيطة لحفظ الماء فى جرف الأرض ، وآثار أخرى تدل على وجود طـرق الرى فى ذلك الوقت ، ويؤدى كل هذا الى الاعتقاد بأن النشاط الزراعى كان من جملة أنشطتهم ، وربما كان نشاطهم الرئيسى ٠ ووجود آثار صـهر النحاس يؤكد لنا أنهم كانوا يستعملون الأوانى المعدنية ، بالاضـافة الى الأوانى الفخارية ٠ ومن قول الملك سرجون ملك الأكاديين والملك أرنامو ملك السومريين أن مراكب مجان كانت ترسو فى موانيهم ، لذا يمكن أن نستنتج أن المستوطنين العمانيين القـدامى كانوا على درجة لا بأس بهـا من الحضـارة ، وقد مكنتهم من الانتقال

من بيئتهم المباشرة الى حضارات أخرى أرقى من حضاراتهم ، وأن التجارة كانت كذلك من ضمن أنشطتهم اليومية ، ولابد أن بناء السفن كان من المهارات التى مارسوها ، وإلا كيف كان فى إمكانهم العبور الى أكاديا وسومر ، وإرساء سفنهم فى تلك الموانى .

ومما يعزز هذا الرأى إشارة الملك دونجى Dungi ملك السومريين على لوحة من مدينة لاجاش Lagash فى سنة ٢٠٥٠ قبل الميلاد الى وجود بنائين للسفن فى مجان فى ذلك الوقت . وتأكيدا لهذا التعبير القديم أشار الرحالة العربى المسعودى فى القرن العاشر بعد الميلاد الى وجود بنائين للسفن فى عمان .

إن وجود السفن يتطلب بالضرورة أن يكون هناك ميناء لهذه السفن للانطلاق منه والرسو فيه ، وقد يسأل البعض عن موقع هذا الميناء أو الموانى فى ذلك الوقت ، وعن إمكانية عبور هذه السفن الأولية البحار من مجان الى موانى سومر عن طريق هرمز . ويرى البعض أنه من الممكن أن جزيرة أم النار وحضارتها القديمة كانت تستخدم كميناء فى ذلك الوقت لسفن مجان ، ومن الجائز أن اسم مجان كان يشمل عمان كما نعرفها اليوم ، والأجزاء المجاورة حولها . وجدير بالذكر أن كل هذا افتراض لا يجب تقبله إلا بأدلة أثرية ثابتة . ومعذرة إن كنت

لا أستطيع الخوض فى هـذا الموضوع فى الوقت الحاضر •
وامتدادا لهـذا الافتراض ربما كان هنـاك طريق برى يربط
مواقع مناجم النحاس فى الباطنة ، ووادى الجزى بسـاحل
الامارات العربية • ولكى نعرف المزيد من الدلائل على هـذه
الحضـارة فى عمان أرجو أن تسمحو لى أن أراجع معكم بعض
صفحات تقارير وفـود الخبراء الذين قاموا بعمليات الحفـر
والتنقيب فى عمان من سـنة ١٩٧٣ ، وأود أن أخص بالذكر
تقرير فريق أثرى دانمركى ، وتقرير فريق أثرى أمريكى من
جامعة هارفارد ، وتقرير فريق أثرى بريطانى •

لنبدأ بالفريق الدنمركى الذى قام بعملية حفريات للمرة
الثانية فى سنة ١٩٧٥ حيث يقول هذا الفريق ضـمن أشـياء
كثـيرة :

« وكنـا فى عمليتنـا الأولى فى بات فى يناير — فبراير
(كانون الثانى — شباط) عام ١٩٧٣ قد ركزنا العمل على منطقة
دفن من الألف الثالث على منبسط خفيض على بعد ١ — ٢ كم
من الشمال الغربى من قرية بات الحالية •

وكان الجزء الجنوبى من هـذه المقبرة يحوى قبورا من
طراز أم النار ، كلها قـد نالتها يد العبث ، ولكن يسهل التعرف

عليها عن طريق نظام الجـدار الداخلى فيها والفخار المبعثرة حولهـا •

وقبور خلايا النحل فى الجزء الشمالى تشبه بنياتها قبور حفيت التى هى أصغر قليلا ، والتى كانت تحوى فخاراً من شاكلة جمدت نصر • وهو مما أظهرته شـقف الفخار القليلة التى وجدت فى قبور بات •

أما المقبرة الحقيقية فكانت تحوى حوالى ١٠٠ قبر كلها مبنية بالحجارة ، ويبدو فيها تطور من قبور خلايا النحل الى قبور أم النار التى هى أكثر تعقيدا فى البناء وأوسع •

يضـاف الى ذلك أن أقرب منحدرات التلال تحوى مالا يقل عن ٢٠٠ قبر من الألف الثالث قبل الميلاد » •

وعن عملية التنقيب الثانية يقول التقرير :

« وعندما تم الحفر على البناء بدا بناء مستديرا يحيط به طريق من جـدار مسنن ، مبنى على حافة واد صـغير ، وكانت شقفات الفخار القليلة التى وجـدت فيه من الألف الثالث » •

وخلاصـة هـذا التقرير هو وجود أوان ومقبرة ومبـان حجرية فى بات على بعد حوالى ٣٠ كم من مدينة عبرى ، ويعتقد

محررو هـذا التقرير أن وجود هـذه الآثار يدل على قيام مدينة وليست قرية فى الألف الثالث قبل الميلاد •

والآن نحاول أن نسترشد من تقرير فريق جامعة هارفارد الأمريكيـة •

دعيت بعثـة هارفارد عام ١٩٧٣ للقيام بأول عملية مسح للآثار فى عمان ، وقـد استطاعت هـذه البعثة الأثرية خـلال فصلين من المسح أن تحدد موقع سبع عشرة مستوطنة يعـود تاريخها على الأرجح ، بناء على قطع الفخار المتصلة بها ، والمبانى الحجرية الى الألف الثالث قبل الميلاد وهو العصر البرونزى •

ويقول التقرير :

« ونتيجة لعملية المسح عام ١٩٧٣ فى وادى بهلا استنتجنا استنتاجا مبدئيا أنه كان من العوامل الأساسية فى اختيار الموقع لمستوطنات الألف الثالث قربه من مصـدر للمياه يكفى لاقامة نظام بسيط للرى ، وكذلك بالطبع لتلبية الحاجة الى الشرب وسـقاية الحيـوانات •

ولقد تبين موضع مستوطنة الألف الثالث ، التى سميت

وادى الفرع على بعد حوالى خمسة كيلو مترات شمال الرستاق . فى موضـــع مماثل لمواقع مستوطنات الداخل •

ووادى أبرا ووادى الأثلى ووادى الفرع ، هى فى الدرجة الأولى مستوطنات ؛ لكن يرتبط بها عـــدد من الرجوم والحلقات الحجرية شبيهة بنصب قبور أم النار . وقـــد اكتشـــف فى مستوطنات وادى سمد والباطن والظاهر شواهد على صـــهر النحاس • ويبدو فى حالة وادى سمد أن المستوطنة كلها كانت مشتغلة بعملية الصـــهر » •

ومما يلفت النظر أن مواقع صهر النحاس فى الألف الثالث التى عثر عليها عـــام ١٩٧٥ كانت كلها واقعة قرب الماء والأرض الصـــالحة للفلاحة •

ويدل هـــذا على أن انتاج النحاس فى العصور القديمة كان جزءا متكاملا مع حياة الجماعة ، على حين أنه صـــار فيما بعـــد صناعة خاصة ، ربما للتصدير تلبية لطلب جهات أجنبية •

ويرجع تاريخ المستوطنات السبعة عشر الى الألف الثالث ؛ وقد أمكن تحـــديد ذلك ؛ على أساس مجموعات شقف الفخار وتماثلها مع مجموعات أخرى •

وقــد اكتشف فى كل واحــدة من المستوطنات الســبع عشرة بعض صدفات البحر ، ومن المحتمل أن حركة المواصلات بين الساحل والداخل كانت نشيطة مستمرة •

ولعل النحاس والحبوب من الداخل كانت تقايض بالمحار والسمك من الساحل •

وعندنا شواهد حسنة على وجود تجارة خارجية فى عمان فى العصر البرونزى • فهناك بعض الفخاريات التى تماثل ما كان فى بلاد ما بين الرافدين ، وأكثر من ذلك مما يماثل ما كان فى جنوب شرق إيران ••

لقــد راودت الباحثين دوما فكرة أن يجعلوا عمــان مكانا لملكة مجــان التاريخية • والمستوطنات التى كانت تشتغل بصهر النحاس فى وادى سمد والباطنة والظاهرة تدل على وجود جماعة فى الألف الثالث تشتغل بصهر النحاس •

تقرير البعثـة الأثرية البريطانية

زارت البعثة البريطانية عمان فى سنة ١٩٧٤ وخـلال وجودها فى السلطنة زارت أجزاء من منطقة الشرقية حيث عثرت على عـدد من قبور « خلايا النحل » التى يرجع تاريخها الى أوائل الألف الثالث ، ووجدت أن هناك تشابها بين هـذه المقابر وتلك التى عثرت عليها البعثة الدنماركية فى بات •

وشوهدت مدافن متأخرة العهـد لعلها من الألف الأول قبل الميلاد ، مكونة من أبنية من حجارة مسطحة ممتدة صـفا طويلا شرقا حتى جعلان •

وتم اكتشـاف ثلاث مواقع غربى أزكى حيث كان يكثر الصـوان المصنع وقد وجد اثنان منهما على مرتفعين يطلان على وادى مقنيات ويقع الثالث على أرض مسطحة من الحصى فى أسـفل جبل الكور •

ويقول تقرير هـذه البعثة : إن عمـان غنية بآثار المدافن وقد تبين من عملية المسح وجود عـدد كبير من نماذج متباينة من القبور ، وأمثلة من المبانى المتميزة بواجهة مبنية بحجارة مربعة فى جزيرة أم النـار •

ويستمر التقرير : « إن من الآثار الأخرى المثيرة للاهتمام قاعات مستديرة ضخمة مسورة بحجارة من نوع كان أول من لاحظه بعثة هافارد للمسح قرب بسيا فى وادى بهـلا • وقد دون وجود عشرة على الأقل من هـذه المبانى فى أثناء مسـح البعثة البريطانية : أربعة قرب بات واثنان فى فرق والروضة ، وواحـد فى الغرب قرب بهلا ، وأخرى غيرها فى أماكن مختلفة • ولم تقرر البعثة طبيعة هـذه المبانى الأثرية ، ولكنها تعتقـد بأن بعضـها ربما كانت مبـان للدفاع ، ولعـلّ غيرها كان لمقاصد دينيـة ••

وقد وجـدت البعثة البريطانية أوان فخارية كثيرة تختلف أنواعها ، وقارنتها بالأوانى الفخارية التى وجـدت فى مواقع حضارات قديمة فى المنطقة ، مثل حضـارة أم النار ، وحضارات إيرانية فى بامبورفى بلوخستان • وقد سبق أن وجـد صندوق عليه زخرفة مماثلة فى مدافن هيلى من طراز أم النار : وقـد وجـدت أيضا فى أماكن أخرى صـناديق ذات حجرات فى مواقع سكنية متأخرة عثر عليها فى موهنجو دارو فى حضـارة نهر انداس فى الهنـد •

وقامت البعثة البريطانية بفحص موقع آخر حيث اكتشفت مدافن أخرى وبناء مربعا ، وتعتقد البعثة أن هـذا الموقـع هو قبر من طراز أم النار • كما أكدت الدكتورة كارين فريفلت

رئيسة البعثة الدنماركية أن الأبنية التى وجـدت فى المدافن كانت شائعة فى حضـارة أم النـار فى المدافن والمساكن .

يدل هـذا كله على وجود حضـارات قديمة فى عمـان فى أماكن مختلفة . وربمـا كانت هناك اتصالات بين هـذه الحضارات والحضـارات المجاورة فى المنطقة ، ومـا يجب أن نعرفه هو أن هـذه البعثات الثلاث استطاعت أن تكشف الغطاء فقط وأنه هناك الكثير الذى يتطلب جهـد بعثات مماثلة للقيـام بالمزيد من التنقيب والاكتشاف ، لعله يقودنا الى معرفة أدق عن هـذه الحضارات . ولكن ممـا لا شك فيه الآن برغم هـذا كله هو أن لعمان حضـارة قديمة جدا ؛ يرجع تاريخها الى مـا لا يقل عن ٥٠٠٠ سنة من وقتنـا هذا . وأكبر دليل على ذلك مـا وجدته البعثات الثلاث من أوانٍ ومبانٍ مماثلة لحضـارات المنطقة التى يعرف أنهـا كانت فى أوج ازدهارها فى الألف الثالث قبل الميلاد .

وحكومة جلالة السلطان قابوس بن سعيد — حفظه الله — حريصة كل الحرص على الحفاظ على تراث البلاد وحضارتها . ومن أجل ذلك أمر جلالته بإنشـاء وزارة خاصـة بالتراث القومى ، وعين سمو السيد فيصل بن على آل سعيد وزيرا لها .

ومنذ إنشائها قامت وزارة الثقافة والتراث القومى بعدة أنشطة تتعلق بالحضارة العمانية ، والتراث القومى ، ومن ضمنها تشجيع التنقيب عن الآثار القديمة فى مختلف أنحاء السلطنة • وقامت الوزارة فعلا بمتابعة واستمرار عملية التنقيب التى قامت بها البعثات الثلاث التى أوردنا بعض ما جاء فى تقاريرها أعلاه ، والتى أجمعت على وجود شواهد من الآثار التى اكتشفوها تدل على قيام حضارة فى عمان يرجع تاريخها الى الألف الثالث قبل الميلاد ، وذلك بمقارنة أساليب هذه الحضارة بأساليب حضارة أم النار وحضارة بلاد ما بين الرافدين •

وامتدت أنشطة التنقيب لوزارة التراث القومى الى البقاع الساحلية فى عمان ، واكتشفت موقعاً فى القرم فى منطقة العاصمة ، يضم آثاراً تدل على تواجد بشرى فى هذا الموقع فى الألف الخامس قبل الميلاد ، ويبدو أن إنسان ذلك العصر كان يستغل الموارد البيئية حوله من البحر والبر ، وكان يدفن موتاه فى حفر بسيطة فى الأرض مع مجوهرات من الصدف والحجارة •

وقد اكتشف علماء التنقيب فى هذا الموقع حبة لؤلؤ فى يد أحد الموتى •

واكتشف هؤلاء العلماء كذلك فى جبل حفيت وفى منطقة أبرا

فى المنطقة الشرقية مقابر تشــبه خلايا النحل . ويرجع تاريخها الى الألف الرابع قبل الميلاد .

وفى ســنة ١٩٨٢/٨١ بدأت عملية التنقيب فى وادى سمد فى المنطقة الشرقية ، وظهر من هـذه العميلة أنه كانت فى هـذا الوادى مستوطنات منظمة فى حياتها ، وكان سكانها يمارسون فلاحة الأرض ، ويدل على ذلك وجد سدود بسيطة بنيت لحفظ المـاء لاستعماله للرى ، كمـا سكان هـذا الوادى يستخرجون النحاس من باطن الأرض ، ويصـهرونه فى أفران بنيت لهـذا الغرض . ووجدت فى أحد المسـاكن ٢٢ قطعة من النحـاس يتراوح حجمها بين ٦ و ٢٢ سم . ويعتقد الباحثون أن النحاس الذى كان ينتجه سكان هـذا الوادى وأودية أخرى فى عمـان كان يزيد عن الاحتياجات المحلية بكثير ، ولذلك لابد أنهم كانوا يصدرونه الى الخارج ، وليس من المستبعد أن يكون هـذا النحاس من عمان هو الذى كانت تحمله سفن مجان الى بلاد مـا بين الرافدين ، ومن الجلى أن هـذا هو أكبر دليل على أن مجان اسم قديم لعمـان .

ومتابعة تسلسل تاريخ الحضارات القدمية أمر فى غـاية الصعوبة نسبة لتوالى فترات زمنية يحف بها الغموض والاندثار من كل جانب . هذه الفترات التى لم تلاق الى الآن حظا من

التدوين أو الاكتشاف الأثرى الذى يربطهـا عضوياً بسابقاتها أو لاحقاتها من العصـور ، ومن الفترات الغامضة التى لم تفك طلاسمها بعد تلك الفترة ما بين الألف الأول قبل الميلاد وظهور الاسلام فى تاريخ عمان باستثناء منطقة ظفار .

تختلف المنطقة الجنوبية فى عمـان « منطقة ظفار » بعض الشىء عن المنطقة الشمالية وذلك فى مناخهـا العـام ، وطبيعة أرضهـا ونباتها لأنها تقع فى خط الأمار الموسمية التى تهطـل بكميات كبيرة فى فصـل الخريف الذى يبدأ من شهر يونيو الى شهر سبتمبر كل عـام ، فى الوقت الذى تعـانى فيـه مناطق شمال عمان من شدة حرارة الصيف والجفاف .

ولمنطقة ظفار تاريخ قديم يرجع الى قرن أو قرنين قبل الميلاد بحسب الآثار التى اكتشفت الى الآن .

ومن أكبر شواهد هـذه الحضارة القديمة فى ظفار تجارة اللبـان التى كان مركزهـا الرئيسى مدينة سمهرام فى خور روری قرب عاصمة المنطقة صلالة .

وقد تم التنقيب فى موقع سمهرام من قبل بعثة أمريكية فى الأعـوام ١٩٥٢ و ١٩٥٣ و ١٩٥٨ و ١٩٦٢ ، ونتيجة لهـذا التنقيب وجدت لوحات مكتوب عليها اسم سمهرام ، وأسماء

الملوك الذين كانوا يحكمون المنطقة فى ذلك الوقت . وهناك اختلاف فى الرأى بين علماء الآثار حول اسم المدينة ، فالبعض يقول إنها سمهرام ، والبعض الآخر إنها سامرام .

وبغض النظر عما اذا كان الاسم سمهرام أو سامارام . فاننا نعلم أنه كانت هناك مدينة وميناء فى خور رورى فى ظفار ، وأن هذه المدينة كانت مركزا حضاريا متقدما ، وعلى اتصال مع حضارات أخرى عاصرتها مثل الحضارة الاغريقية . كما نعلم أيضا أن هذه المدينة ازدهرت بتجارتها مع عديد من البلدان ، وكان من أكبر إنتاجها اللبان الذى كانت تصدره الى الخارج لاستعماله فى المعابد والكنائس .

وبالنسبة لتاريخ هذه الحضارة تعتقد الدكتورة بيرين أنه كان فى القرن الأول قبل الميلاد . فى حين يعتقد الآخرون انه كان فى القرن الأول بعد الميلاد . وكان يصدر اللبان من ميناء يسمى « موسكا » وبعد نقاش طويل عن موقع هذا الميناء كتبت الدكتورة بيرين أنها تعتقد أن ميناء موسكا كان يقع فى خليج ظفار حيث خورروری ، وهناك آثار قديمة توجد حالياً فى خور رورى عبارة عن بقايا قلعة قديمة فوق تل يطل على البحر ، وقد وصفها ويندل فلبيس الذى عاش فى ظفار لمدة طويلة بأنها قلعة منيعة لمدينة ذات شهرة منسية ،

كانت تحافظ على سلامة أحسن ميناء فى ساحل ظفار ؛ لابد وأن تكون هى موسكا • وكتب رحالة ومؤرخ مجهول يونانى الأصل فى القرن الأول بعد الميلاد فى كتابه عن موسكا ، Priplus of the Erythrean Sea وأشار اليه كميناء بحرى أقيم لتصدير منتجات اللبان ، وكانت سفن البلاد الأخرى تتعامل مع رجال الحاشية الملكية على أساس مقايضة اللبان بمنتجات الحنطة والسمسم والمنسوجات •

كما وصف الكاتب الرومانى بلينى الجنوب العربى القديم بأنه أغنى بلدان العالم وربما ذلك كان لسبب تجارتها فى اللبان •

الحضارة العربية الاسلامية فى عمان

إننى أخشى ألا تكون لدينا أدلة تاريخية متسلسلة فى هذا الصدد لنسترشد بها فى تحديد تراث أهل عمان قبل وصول الأزد إليها ، وقد كتب بعض المؤرخين الأجانب عن هذا الموضوع . ولكننا نرى فى كتابتهم أنهم أخذوا كثيراً من معلوماتهم من مصادر عربية ؛ ولذلك لابد من الاعتماد على المؤرخين المعانيين أنفسهم ، وعلى الأخص أشهر هؤلاء المؤرخين وهما « سرحان بن سعيد بن سرحان ، وعبد الله بن حميد السالمى » .

فى كتابه « كشف الغمة » يقول سرحان عن دخول الأزد الى عمان بقيادة مالك بن فهم : « قال الكلبى : إن أول من لحق بعمان من الأزد مالك بن فهم » . ومهما كان سبب خروجه الى عمان . وهناك حديث عن كلب جاره الذى كان السبب لخروجه ، ولا داعى للدخول فى تفاصيل هذه الحادثة فى هذه المحاضرة . خرج مالك من السراة بمن أطاعة من قومه ، وسار يريد عمان فكان لا يمر بحى من أحياء العرب إلا سالموه لمنعته وكثرة عساكره .

ويقول سرحان : « إن مالك عمان ومايليها من الأطراف ،

وساسها سياسة حسنة ، وسار فيهـا سيرة جميلة ، وله ولأولاده في سيرهم الى عمان أشـعار كثيرة وشواهد تركتها طلبـاً للاختصـار » •

ونقول نحن : ياليت سرحان لم يترك هـذه الأشـعار والشواهد حتى تكون فى حوزتنا لنستفيد منها فى وقتنا هذا •

ويقول السالمى فى كتابه « تحفـة الأعيان عن سيرة أهل عمان » : إنه جاءت الى عمـان بعد مالك بن فهم قبائل كثيرة من الأزد ،فأول من لحق بمالك من الأزد عمر بن عمرو بن عامر (ماء السماء) وولداه : الحجر والأسـود ، وتفرعت من الحجر والأسود بعمـان قبائل كثيرة ، ثم جاءت بعدهم قبائل أخرى من الأزد فملئوها ، ويقـال : إن الأزد سموا عمـان عمانا لأن منازلهم كانت على واد لهم بمأرب يقال له عمان فشبهوها به •

لم تزل الأزد تنتقل الى عـُمان حتى كثروا بهـا ، وقويت يدهم ، واشتدت شوكتهم وملئوها •

ثم نزل عمان من غير الأزد أسامية بن لؤى بن غالب ، فنزل فى جوار الأزد ، وقال العوتبى : إن بنى أسامة اليوم فى توءم ،

البريمى ، وقال : إن فيهـا ناساً من بنى سعد وناساً من بنى عبد قيس •

كمـا نزل بعمان كذلك ناس من بنى متيم ، منهم من آل جديمة بن خازم وغيرهم ، ونزلهـا أيضـا قوم من الأنصـار فى الجاهلية ومنازلهم فى قرية يقال لهـا : ضنك • ونزل ناس من قطن من الأنصار ، ومنازلهم فى عبرى والسليف وناس من بنى الحارث بن كعب ومنازلهم بضنك ، ونزلها ناس من بنى رواحة بن قطيفة ابن عيسى •

هـذا تاريخ بعض القبائل التى نزلت عمـان بعد مالك ابن فهم ، وهناك كثير من القبائل العمانية اليوم التى تنتمى آلى هـذه القبائل •

مالك بن فهم :

كان مالك بن فهم ملكا عظيما ، وكانت قبائل اليمن وغيرهم يهابونه ويفخرون به ويتعززون بمنعته ، ويقـال إنه فى ناحية أخرى نزل ملك من ملوك الأزد يقـال له :مالك بن زهير ، وكان عظيم الشـأن كذلك ، وكاد يكون مثل مالك بن فهم فى العزة والقدرة ، وخشى مالك بن فهم أن يقع بينهما تحاسد ، وأن يطمع أحدهما فى ملك الآخر فتقع بينهما الحرب • فخطب مالك

ابن فهم الحزام بنت مالك بن زهير ، فزوجـــه على أن يكون الملك لأولادهـــا من بعده ، فأجابه مالك بن فهم الى ذلك ، وتزوجها فولدت سليمة بن مالك ، وهو أصغر أولاده واحبهم اليه ، ولسليمة هـــذا قصـــة مع أبيه مالك بن فهم بعد مـــا كبر وصار شاباً ومات مالك على يده ، وهو أحب الناس اليه .

ويقول السالمى : إن سبب ذلك كان أن مالكاً قد جعل على أولاده لحراسة بالمناوبة كل ليلة على رجل منهم مع جماعة من خواصه وأمنائه من قومه . وكان سليمة أحظى ولد مالك عنده وأقربهم اليه . فحســـده إخوته وجعلوا يطلبون له زلة عند أبيـــه وقومه . وكان مالك يعلم سليمة من صغره الرمى بالسهام الى أن أتقنه ، وكان يحرس كإخوته .

وأقبل ذات يوم نفرمن إخوته الى أبيهم فقالوا : يا أبانا إنك قد جعلت على أولادك الحراسة بالنـــوبة . ومـــا أحد منهم إلا وهو قائم بها عليه ما عدا سليمة فانه أضعف همة وأعجز ، وأنه إذا نزل الليل يعتزل عن فرســـان قومه ، وتيشاغل بالنـــوم والغفول عما يلزمـــه .

لم يصدق مالك كلامهم وقال لهم : إنه لم تزل الإخوة تحسد بعضهم بعضـــاً لإيثـــار الآباء بعضهم على بـــعض ولكن داخله الشك الى أن كانت الليلـــة التى كانت فيها نوبة ابنه سليمة ، وقد

خرج سليمة ذات ليلة فى نفر من فرسان قومه يحرسون كالعادة ، ثم اعتزل عنهم سليمة فى مكان يقرب دار أبيه ، فبينما هو فى ذلك المكان إذ أقبل مالك من قصره فى جوف الليل مختفياً من حيث لا يعلم به أحد • قاصداً الى ذلك الموضع •

وكان سليمة فى ذلك الوقت قد لحقه نوم على ظهر فرسه ، فرأى الفرس شخص مالك من بعيد ، فصهلت وانتبه سليمة من غفوته مذعورا ونظر الى الفرس وهى ناصبة أذنيها الى شخص مالك ، ففوق سهمه اليه وهو لا يعلم أنه أبوه ، فسمع مالك صوت السهم فهتف به يا بنى لا ترم أنا أبوك ، فقال سليمة : يا أبت ملك السهم قصده فأرسله ، وأصاب السهم مالكا فى قلبه . وبموجب هذه القصة قال مالك قصيدة طويلة قبل موته ، نعى نفسه فيها ، وذكر سيره الذى ساره من أرض السراة الى عمان • لا نستطيع أن نأتى بها فى هذه المحاضرة إلا هذه الأبيات فقط :

جزاه الله من ولد جزاء
سليمة إنه ساما جزانى

أعلمه الرماية كل يوم
فلما اشتد ساعده رمانى

ترخانى بقدح شك لبى
دقيق قد برته الراحتان
فأهوى سهمه كالبرق حتى
أصاب به الفؤاد وما عدانى

جلس سليمة مع إخوته بعد ذلك فترة ، حتى بلغه أن أخاه معن كان يطلب غفلته ليغرى به سفهاء قومه من حيث لا يعلم أحد ، فأقسم ألا يقيم فى أركى عمان . وأجمع رأيه على ركوب البحر . فخرج هرباً فى نفر من قومه ، حتى نزل بفارس وتزوج بامرأة منهم من قوم يقال لهم : « الأسفاهية » ، إنه رحل ونزل بأرض كرمان ، وله قصة أخرى هناك لا مجال لها فى هذه المحاضرة .

ولا يوجد دليل على الأحداث التى شهدتها عمان فى أعقاب وفاة مالك ، وإن كان من المرجع أن أبناءه ظلوا يتناوبون الحكم الى أن انتقل منهم الى أسرة أخرى من الحكام هى أسرة بنى شمس ، وهى فرع من قبيلة الأزد التى وفدت الى عمان بعد وصول مالك إليها ، وكان يتزعمها معولة بن شمس ؛ ولا تتحدث السجلات التاريخية عن الكيفية التى تم بها انتقال الحكم الى أسرة بنى شمس ، وكل ما أعرفه عن الموضوع ما ورد على لسان المؤرخ العمانى الشيخ العالم عبد الله بن حميد

السالمى الذى يقول : « إن أول ملك يتولى الحكم من هـذه القبيلة هو عبد العز بن معولة بن شمس » ويصـفه أنه كان حاكما قويا ونشيطا امتد حكمه الى أبعد من اليمامة والبحرين •

وإن أمكن الاعتماد على البحث الذى أجراه ح • س • ولكنسن عن دولة بنى جلندى . فعبد العز بن معولة بن شمس يكون من أجداد الجلندى بن المستكبر بن مسعود بن الجرار ابن عبد عز بن معول بن شمس ووالد عبد وجيفر اللذان كانا يحكمان عمان عند ظهور الاسلام ، واللذان أسلمـا على يد عمرو بن العاص رسول النبى صلى الله عليـه وسلم إليهم فى السنة الثامنة أو التاسعة بعد الهجرة •

ويتفق جميع المؤرخين على أن أهل عمـان اعتنقوا الاسلام خلال حكم الأميرين جيفر وعبد ابنى الجلندى •

وعن كيفية إسلام أهـل عمان لابد وأن نلتزم بالاعتمـاد على المؤرخين العرب الذين تطرقوا الى هـذا الموضوع بكثير من الانصاف والادراك •

أهل عمان فى الإسلام

يقـال إن أول من اعتنق الاسلام فى عمان كان رجـل يسما مازن بن غضوبة ، وكان من سكان سمائل فى الجزء الداخلى من عمان ، وكان قبل الاسلام يعبد الأصنام .

وتقـول الرواية : إن مازن بعد أن علم بأمر الدعـوة الاسلامية سافر الى المدينة ، وأسلم على يد الرسول صلاة الله وسلامه عليـه .

وفى حديث مازن قال : « وركبت راحلتى قدمت عـلى رسول الله صلى الله عليـه وسلم فسألته عما بعث له ، فشرح لى الاسلام ونور الله قلبى للهـدى فأسلمت » ثم قـال : (قلت : يا رسول الله إنى مولع بالطرب وبشرب الخمر ، لجوج بالنساء وقد نفد أكثر مالى فى هـذا ، وليس لى ولد ، فادع الله أن يذهب عنى ما أجـد ، ويهب لى ولداً تقر به عينى ويأتينا بالحياة ، فقال النبى صلى الله عليـه وسلم : « اللهم أبدله بالطرب قراءة القرآن ، وبالحرام حلالا ، وبالعهر عفـة الفرج ، وبالخمر رياً لا إثم فيـه وأتهم بالحيـاة وهب له ولداً تقر به عينه ») .

أمـا عن إسلام أهل عمان فقد جاء عن الواقدى أن النبى

صلى الله عليه وسلم كتب الى جيفر وعبد ابنى الجلندى الأزدى ، وبعث عمرو بن العاص بكتـــابه إليهمـــا . فكان أول من لقيه عمرو عبد بن الجلندى ، وكان أحلم الرجلين وأحسنهما خلقا . ثم سلم عبد كتاب النبى صلى الله عليه وسلم لأخيه مختومـــاً ففض ختمـــه وقرأه حتى انتهى الى آخره ، ودفعه الى أخيـــه عبد فقرأه مثل قراءته ، ثم التفت الى عمرو فقـــال : إن هـــذا الذى تدعو اليه من جهة صاحبك أمر ليس بصغير . وأنا أعبد فكرى فيه وأعلمك .

استحضر جيفر وعبد جمـــاعة الأزد . وبعثوا الى كعب ابن برشة العودى فسألوه عن أمر النبى صلى الله عليه وسلم فقـــال : « الرجل نبى وقد عرفت صـــفته وسيظهر على العرب والعجم » فأجاب جيفر الى الاسلام وأسلم هو وأخوه فى ساعة واحدة ، ثم بعث الى وجوه عشـــائره فبايعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وأدخلهم فى دينه وألزمهم تسليم الصدقة وأمر عمرو بن العاص بقبضهـــا .

هكذا كان أسلام أهل عمـــان ، وليس كمـــا يقول بعض المؤرخين الأجانب مثل المؤرخ الانجليزى مايلز : إن العمانيين لم يعتنقوا الاسلام من منطق الايمـــان به ، وإنمـــا خوفا منه ، وبدافع المصلحة والضرورة وأنه بعد أن رأى العمانيون كيف

انتصر محمد صلى الله عليـــه وسلم على اعتداز بنى قومه عليه ؛ وعلى رسالتـــه النبوية خشـــوا من زحف قوات المسلمين على بلادهم • أو أنهم وجدوا فى جيوش المسلمين سنداً لهم فى مقاومتهم للاحتلال الساسانى للبـــلاد ، ولا يوجد أى مبرر لهـــذه التكنهات إذ إن العمانيين أنفسهم وبدون أى مســاعدة عسكرية من أية جهة أخرى قاموا بطرد جيوش الاحتلال عندما رفضـــوا الدخول فى الاســـلام •

وعلى ذلك فقد جاء الاسلام الى عمـــان ليبقى وينتشر ، ولمـــا كان جيفر وعبد نفساهمـــا قد آمنـــا به فانهما ناشدا القبائل أن تحذو حذوهما •

وبدأ الأزد يتشربون تعاليم الدين الجديد من المبعوث الذى أوفد إليهم لدعوتهم اليه ،وهو عمرو بن العاص الذى أقـــام فى عمـــان حتى غادرها عند سماعه بوفاة النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وعندما اضطرته وفاة النبى صلى الله عليه وسلم الى الرحيل صحبه عبد وعدد من كبار شخصيات الأزد •

وعند وصولهم الى المدينة ألقى سيدناأبو بكر كلمة ترحيب أمام المهاجرين والأنصار قال فيها : « معاشر أهـــل عمان إنكم أسلمتم طوعاً لم يطأ رسول الله ساحتكم بخف ولا حافر ، ولا جشمتموه مـــا جشمه غيركم من العرب ، ولم ترموا بفرقة ،

ولا تشتت شمل ، فجمع الله على الخير شملكم ، ثم بعث اليكم عمرو بن العاص بلا جيش ولا سلاح ، فأجبتموه إذ دعاكم على بعد داركم ، وأطعمتوه إذ أمركم على كثرة عددكم وعدتكم . فأى فضـــل أبر من فضلكم ؟ وأى فعل أشرف من فعلكم ؟ كفاكم قول رسول الله صلى الله عليه وسلم شرفاً الى يوم الميعاد . ثم أقام فيكم عمرو مـــا أقام مكرماً ، ورحل عنكم إذ رحل مسلماً . وقد مَنّ الله عليكم باسلام عبد وجيفر ابنى الجلندى ، وأعزكم الله به ، وعزه بكم ، وكنتم على خير حـــال حتى أتتكم وفـــاة رسول الله صلى الله عليـــه وسلم فأظهرتم مـــا يضاعف فضلكم ، وقمتم مقاما حمدناكم فيه ، ومحضتم بالنصيحة ، وشاركتم بالنفس والمـــال ، فيثبت الله ألسنتكم ويهدى قلوبكم ، وللناس جولة فكونوا عند حسن ظنى فيكم ، ولست أخاف عليكم أن تغلبوا على بلادكم ولا أن ترجعوا عن دينكم . جزاكم الله خيرا » .

وتقول الأستاذة الدكتورة / ســيدة اسماعيل كاشف فى كتابها « عمان فى فجر الاسلام » : انه بعد أن اعتنق العمانيون الاسلام اقبلوا بحمـــاس بالغ على دراسة القرآن والتفسير والحديث وآداب اللغـــة العربية . فأصبحت عمـــان بفضل فقهائها وعلمائها وأدبائها مركزا هاما لحركة العلمية الدينية .

الامام جابر بن زيد وعدد علماء من عمان

ومنذ قديم الزمان برز أول فقيه شهير من العمانيين اسمه جابر بن زيد ، الذى ولد فى قرية صغيرة تسمى « فرق » قرب نـــزوى •

قيـــال إنه ولد بين العام ١٨ والعـــام ٢١ بعد الهجرة خال فترة خلافة عمر بن الخطاب ، وإنه قد أمضى طفولته فى مسقط رأسه ، ودرس القرآن ، وهو صغير وتبحر بعمق فى الفقه ، وكان تعطشـــه للعلم لا يروى • ولذا غادر عمـــان وذهب الى البصرة التى كانت مركزا عظيما للعلم فى ذلك الوقت •

أمضى جابر بقية حياته بين البصرة والمدينة المنورة ، الأمر الذى جعـــله على صلة بأكبر فقهـــاء المسلمين حينذاك ، واستوعب منهم كل مـــا أمكنه من استيعابه من تعاليم العقيدة الاسلامية من كافة جوانبهـــا • وقد تعلم جابر من عبد الله بن عباس الذى وصـــفه « بالبحر » ومن السيدة عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه وسلم ومن أبى هريرة وأنس بن ملك وأبى سعيد الخدرى وسيدنا على بن أبى طالب وآخرين كثيرين غيرهـــم •

ونسب لجابر قوله : إنه أدرك سبعين من الذين شاركوا فى

موقعة بدر ضمن جنود النبى صلى الله عليـــه وسلم • وقد ورد أن ابن عباس قد قال للنـــاس : « اسألوا جابر بن زيد فلو سأله أهل المشرق والمغرب لوسعهم علمه » كما أشار ابن عباس الى أهل العراق فى ذلك الوقت وقال : « عجبا لأهل العراق كيف يحتاجون الينا ومعهم جابر بن زيد » •

وعاصر جابر بن زيد كثيراً من العماء والفقهاء ، مثـــل الحسن البصرى وغيره ، وكان ينشر العلم فى المساجد ، ويجاهد فى سبيل إحيـــاء سنة الرسول عليه الصـــلاة والسلام ، ويدعو سراً وعلناً الى ضرورة محافظة الأمة الاسلامية عـــلى شريعة الله •

ومن تلاميذ جابر بن زيد وزميله أبو عبيدة مســـلم بن أبى كريمة التميمى ، والامام الربيع بن حبيب صـــاحب المســـند المعروف باســـمه ، وكان الربيع من أهل الباطنة من عمان ، ثم خرج الى البصرة لطلب العلم ، وكان شابا حين التقى بالامام جابر بن زيد • وبعـــد أن قضى معظم حياته فى البصرة يطلب العلم ويقوم بتدريســـه عاد الى عمان وطنه فى عمـــان حيث انتقل الى جوار ربه فى النصف الثانى من القرن الثانى الهجرى •

وتقول الدكتورة / سيدة اسماعيل كاشف انه نشر « الجامع

الصحيح » للربيع بن حبيب فى القدس فى سنة ١٣٨١هـ وفى دار الكتب المصرية بالقاهرة مخطوطة « مسند الربيع » للربيع بن حبيب تحت رقم ٢١٥٨٢ب • وتستطرد بالقول ان من أهـم من حمل العلم عن الامام الربيع بن حبيب من البصرة الى عمان خمسـة علماء عمانيون كان لهم الفضل الأكبر فى ازدهـار الحيـاة العلمية فى فجر الاسلام فى عمان ، وهم : أبو المنـذر بشير بن المنـذر النزوانى ، ومنير بن النير الجعلانى ، وموسى ابن أبى جابر الأزكوى ، وحبوب بن الرحيل ، ومحمد بن المعلى الكندى •

وهناك عدد كبير من من علمـاء عمان الذين لعبوا دورا كبيرا وفعـالا فى نشر الدين الاسلامى والثقـافة الاسلامية ، ليس فى عمـان فقط بل فى افريقية الشرقية كذلك • وهنـاك علماء وفقهـاء من الذين كرسوا حياتهم فى طلب العلم ونشره ، وأكبر دليل على ذلك المؤلفات المخطوطة التى تقوم وزارة التراث القومى فى عمـان بجمعهـا وحفظها وطباعتها فى وقتنـا هذا ، والتى بلغ عددها الى الآن أكثر من أربعـة آلاف مخطوطة منها كتاب « العين » امام الكتب فى اللغة للخليل بن أحمد الأزدى الفراهيدى الذى خرج من عمـان الى البصرة وأقام بهـا • وكتاب الجمهرة لأبى بكر أحمد بن محمد بن أبى حسن بن دريد الأزدى ، وكتاب الكامل لأبى العباس المبرد •

وإن كان هؤلاء من بعض العلماء والمؤلفين العمانيين الأولين ، فهناك كذلك علماء أتوا بعدهم لا يقلون عنهم شأنا ، ومنهم فضيلة الشيخ عبد الله بن حميد السالمى صاحب كتاب « تحفة الأعيان فى سيرة أهل عمان » وله مؤلفات عديدة « كجوهر النظام » وهو كتاب فى الفقه الاسلامى منظوم فى عشرة آلاف بيت • وهذا الفقيه الذى فقد بصره وهو فى سن الثالثة عشرة من عمره ،ولم يكن قد تجاوز الأربعين عاما عند وفاته فى سنة ١٣٣٢هـ الموافق سنة ١٩١٤م قد ألف أكثر من اثنين وعشرون كتابا •

وقد نشر السالمى شرحا لكتاب الربيع بن حبيب « الجامع الصحيح » وفى مقدمة هذا الكتاب التى كتبها عز الدين التنوخى قال : إن ثلاثية الربيع بن حبيب الأزدى وأحاديثها فى مسنده من أصحها رواية وأعلاها سنداً ورجال سلسلة الثلاثية الحلقات هم أبو عبيدة التميمى وجابر بن زيد الأزدى ، والبحر عبد الله ابن عباس شيخ جابر وكلهم مشهورون بالحفظ والضبط والأمانة والصيانة •

هذه أمثلة قليلة عن العلماء والمؤلفين العمانيين الذين ساهموا مساهمة فعالة فى إثراء الفكر الاسلامى وإرساء الحضارة العمانية المجيدة حتى أصبحت عمان الاسلامية مركزا علميا هاما •

دور العمانيين فى الملاحة

ولا يسعنا قبل أن نختتم هذه المحاضرة إلا أن نذكر بعض الشىء عن الدور العمانى فى الملاحة • فقد ذكرنا سابقا فى هذه المحاضرة أنه لابد وإن كان العمانيون القدامى يمارسون مهنة صناعة السفن من قديم الزمان ، وإلا كيف كان فى إمكانهم العبور الى بلاد ما بين الرافدين ، وإرساء سفنهم فى موانى السومريين • كما ذكرنا كذلك أن المؤرخ العربى المسعودى أشار فى القرن العاشر بعد الميلاد الى وجود مهنة صناعة السفن فى عمان •

ويقول المسعودى كذلك : أن أصحاب المراكب الذين كانوا يبحرون الى افريقية الشرقية فى القرن الرابع الهجرى — العاشر الميلادى كانوا عرباً عمانيين من الأزد ، وكان أقصى ميناء تصل اليه هو ميناء سفالة فى موزمبيق الذى كان مرفأ تجارة الذهب القادمة داخل البلاد ، أما السلع التى كانت المراكب تسعى لجلبها من شرقى افريقية فهى الذهب والعاج والأخشاب والتوابل •

وكان إبحار الأساطيل التجارية العمانية الى افريقية ومدغشقر بغرض جلب العاج والصوف وجلود النمور

والعنبر ، وهى سلع كان الاقبال عليهـا شديدا فى العراق والهند والصين • ويبدو هـذا واضحا فى البقايا الأثرية الكثيرة لمدينة صحار التى كانت مدينة ذات شـأن كبير فى التجارة فى ذلك الوقت • وهناك رواية أن أول ملاح عربى أبحر من صحار الى كنتون فى الصين كان عمانيا اسمه أبو عبيدة عبد الله بن قاسم فى القرن الثامن الميلادى • وتأكيداً لإمكـانية مثل هـذه الرحلة البحرية قامت وزارة التراث القومى بالتعاون مع البحار البريطانى تيم سفران ببناء سفينة شراعية بموجب مواصفات السفن العمانية القديمة ، وأعدتها للسفر من ميناء مسـقط الى كنتون •

وكمـا يعرف الجميع ، فقد قـام تيم سفران مع مجموعة من الشباب العمانيين ، وبعض علمـاء العلوم البحرية بهـذه الرحلة التى سميت رحلة السندباد بنجاح فى نوفمبر سـنة ١٩٨٠ من ضمن احتفالات العيـد الوطنى العاشر لعمـان • ووصلوا كنتون فى شهر يوليو بسلام آمنين بعد أن سلكوا الطريق البحرى الذى يعتقد أنه المسار الذى طرقه أبو عبيدة سابقا • ولاشك أن ميـناء صحار كان أكبر الموانى ازدهارا • ويذكر المسعودى كذلك أن ازدهار صحار يرجع الى القرن الرابع الهجرى / العاشر الميلادى • ويقـال : انه قداشترك هـذا المؤرخ فى كثير من

الرحلات التجارية مع الملاحين العمانيين ويذكر أن ربابنة السفن فى عمان كانوا يرتادون بحار الصين والهند والسند وافريقية الشرقية ، واليمن والبحر الاحمر والحبشة ، كما كانوا يقطعون أطول الطريق البحرية التجارية فى فترة القرون الوسطى وهم الذين ألفوا القصص والحكايات التى انحدرت منها قصص السندباد .

ان صناعة السفن العمانية تطورت بعد ذلك حتى استطاعت أن تنافس السفن الأوربية فى تصاميمها . وفى أيام حكم الامامين ناصر بن مرشد ، وسيف بن سلطان اليعربيين أصبح جهاد العمانين موجهاً ضد سفن الأوربيين بصفة عامة ، وسفن البرتغاليين بصفة خاصة ، حتى فى عام ١٦٥٢م أبحر أسطول من المراكب العمانية على مراكز البرتغاليين فى ميناء (بيته) قرب زنجبار ، ولكن البرتغاليين عادوا اليها بعد قليل واحتلوها .

وفى عام ١٦٥٥ أبحر أسطول عمانى آخر الى ممباسة ، وكان أهلها قد استعانوا بسلطان بن سيف على البرتغاليين ، وقد استسلمت المدينة بعد حصار دام خمس سنوات وانسحب البرتغاليون منها ونصب فيها والى عمانى .

وفى أثناء حكم سيف بن سلطان استأنف العمانيون نشاطهم

البحرى على أوسع نطـاق ، وسارع الامام سيف الى تدعيم الأسطول العمانى ؛ ويقال انه كان يملك ٣٨ مركبا صغيراً و ١٤ مركبا كبيرا زود أكبرها بثمانين مدفعـا ؛ وحل أسطوله محل أسطول البرتغاليين فى السيطرة على منطقة غرب المحيط الهندى • يقول « هاملتون » الانجليزى ان العمانيين قد فرضوا بهـذا الأسطول هيبتهم على الساحل كله الى البحر الأحمر ، وامتد نفوذهم الى الخليج بعد أن أقام الامام سلطان بن سيف حامية له فى عـام ١٧٧٧م •

وفى عهـد السيد سعيد بن سلطان الذى يعد واحدا من ألمع الحكام العرب فى القرن التاسع عشر الميلادى . كانت أهم ممتلكات عمان هى التى فى ساحل افريقية الشرقية ، وقد بلغت السيطرة العمانية على بعض الموانى الى حد اقامة حاميات دفاعية فيهـا مثل ممباسة ولا مووبيتة وكلوة ومركا ومقديشو •

انتقل السيد سعيد الى زنجبار فى سنة ١٨٣٢ ، ، كان قرار انتقاله هـذا قراراً سياسيا من الدرجة الأولى ومن بين الأسباب التى دعت اليه الحاجة الى موقع تجارى على طريق رأس الرجاء الصالح من المحيط الاطلسى الى الهند ، بالاضـافة الى الانتاج الزراعى فيهـا الأمر الذى أدى الى أن تصـبح المنتجات

الزراعية كالقرنفل وجوز الهنـد ومنتجات أخرى كالعـاج وقرون الحيوان والصدف والعنبر والأخشاب توزع فى جميع أنحاء المحيط الهندى وحتى الى أمريكا وانجلترا .

يقول تاجر أمريكى : إن السيد سعيد بن سلطان وصل الى زنجبار بأسطول كبير فيـه ٦٤ مركبا حربيا كبيرا . و ٣٦ مركبا صغيرا ، مراكب أخرى شراعية تحمل ما لا يقـل من ستة آلاف جندى . وقال الانجليزى بارتون : إن اسطول السيد سعيد فى ذلك الوقت كان يعتبر من أقوى الأساطيل فى القوى البحرية فى المحيط الهندى ولأجل اثراء التجارة بين ممتلكاته والدول الأوربية أرسل السيد سعيد أول سفير عربى الى أمريكا فى فى سـنة ١٨٤٠ فى السفينة « سـلطانة » بقيـادة أحمد بن النعمان الكعبى ، كمـا أرسل أول سفير عربى الى انجلترا فى سنة ١٨٢٨ ، وهو على بن ناصر الذى كان واليا فى ممباسا ، وأرسله مرة ثانية فى السفينة « سلطانة » فى سنة ١٨٤٢ — وكان ذلك فى عهـد الملكة فكتوريا . كمـا أن البارجة كارولينا التابعة لأسطوله زارت ميناء مارسليا فى سنة ١٨٤٩م .

ويعتبر عهد السيد سعيد بن سلطان من أهم العصـور بالنسـبة لمجالات النشـاط الملاحى .

ويقول مؤلف كتاب عمان فى تاريخها البحرى : إنه كانت

هناك تطورات هامة تجرى على فنون الملاحة عند العرب . ومن أهمها استعمال الابرة المغناطيسية ، وانه لمن المؤكد أن الفضل الكبير فى هذا التطور يعود الى الملاحين العمانيين .

ومن أبرز الشخصيات التى اقترن اسمها بتاريخ الملاحة وعلوم البحار فى تلك الفترة الملاح العمانى شهاب الدين أحمد ابن ماجد صاحب كتاب « الفوائد فى أصول البحر والقواعد » وقد كتب نحو أربعين كتابا تتناول موضوعات الملاحة البحرية ، غير أن كتاب الفوائد يعتبر غاية ما وصلت اليه الكتابة العربية عن الملاحة ، وألفه فى الفترة بين عامى ١٤٨٦ و ١٤٩٠م . وقد ظل الملاحون فى المحيط الهندى يعتمدون على هذا المرجع الهام فى رحلاتهم حتى نهاية القرن الثامن عشر .

هذه نبذة عن دور العمانيين فى الملاحة وهناك معلومات دقيقة وكثيرة فى المراجع التاريخية لمن يريد أن يتعمق فى هذا الموضوع .

خــاتمـــــة

وفى ختام هــذه المحاضرة أرجو أن أذكر المستمعين الكرام بأن هناك موضوعات أخرى تتعلق بتاريخ عمان وحضارتهــا القديمة لم يسمح لنــا الوقت بتناولها فى هــذه المحاضرة ، منها معركة دبا التى دار حولها نقاش طويل ، وتضـــارب فى الآراء عمــا إذا كانت هــذه المعركة نتيجة لردة بعض المسلمين فى عمــان أم لا .

منهــا أيضــا موضوع الدور الذى لعبــه أهل عمــان فى الفتوحات الاسلامية فى هــذه المنطقة ونشر الاســلام فى البلاد المجاورة ، وفى افريقيــا الشرقية ، وكيف نشــأ المذهب الأباضى واستقر فى عمان الى يومنا هــذا ، وماهية هــذا المذهب الذى أساء فهمه معظم المعلقين ، المسلمين وغير المسلمين .

وأرجو المعذرة إذ أننــا لا يمكن أن نعطى هذه الموضوعات حقها فى هــذه المحاضر وربما نتناولها فى مرات قادمة والله ولى التــوفيق . . .

الصفحة

مطابع سجل العرب